

الثلاثاء 02-12-2008

459- حالات وأمور: كمثل "عرجي" يعلمنا

بعض ماهية: العلاقة بالموضوع، والقدرات المعرفية

مقدمة:

أكرر كثيرا كيف أني أتعلم من مرضى، وقد آن الآوان لعرض بعض ذلك:

هذه حالة شيخ في الرابعة والثمانين من العمر، "عرجي"، ابن عرجي"، يعيش مع زوجته (69 سنة) في حجرة إيجارها جنيهان وسبعون قرشا، في حوش به ثلاث حجرات مع أسرتين أخريتين، كل في حجرة، وللثلاثة حمام واحد بلدى مشترك في الحوش.. الخ.

مضطر أنا أن أعرض بعض ملامح الحالة في حلقات متتالية (لا أعرف كم!)، يومى الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع، لعلنا نوصّل من خلالها ما يمكن.

بعض الأسئلة التي استلهمنا منها الفروض التي يمكن أن تساعد في فهم الحالة:

السؤال الأول: ما معنى ما نسميه "العلاقة بالموضوع" (العلاقة بالآخر)؟

السؤال الثاني: ما الذى يحافظ على القدرات المعرفية حتى سن متأخرة؟

السؤال الثالث: ما هى علاقة العالم الداخلى (الذى يفرز الأعراض وخاصة الضلالت والهلاوس) بالعالم الخارجى (الناس والأشياء)؟

السؤال الرابع: كيف نساعد (نعالج مثل هذه الحالات)؟

السؤال الخامس: كيف نستفيد من هذه المعارف في الوقاية من التدهور الأسرع في سن متأخرة؟

الأرجح عندي أنها قد تسغرق ستة حلقات (ثلاثة أسابيع) بصفة مبدئية، على الوجه التالى:

الحلقة الأولى (اليوم): عرض موجز للحالة، مع المناقشة المبدئية لمقتطفات من ورقة المشاهدة (Sheet) التي قدمتها الزميلة الطيبية تحت التدريب.

الحلقة الثانية: الخلفية النظرية والخطوط العامة للفرض مع عرض المقابلة الأولى مع المريض.

الحلقة الثالثة: مقتطفات من المناقشة بعد اللقاء مع الحالة، ثم شرح وتعليق تجزيئي على الحالة (الحلقة الأولى) وعلى المقابلة مع المريض

الحلقة الرابعة: التعليق على الحالة كلها.

الحلقة الخامسة: عرض مقابلة تالية مع المريض بعد أسبوعين من اللقاء الأول (مقابلة قصيرة للمتابعة)

الحلقة السادسة: تعقيب ختامى.

الجزء الأول:

موجز الحالة:

جاء المريض بنفسه يشكو من أعراض جسمية يعزوها لهلوس حسية ابتداء:

جسمى كله مدغدغ، رجليا واجعاني وراسى وظهرى من ساعة ما العفاريت ضربونى علقة من سنتين.

وعند سؤاله أضاف:

أنا بأسمع أصوات رجالة وستات، بيتكلموا مع بعض بس كلامهم مش مفهوم وباشوف عفاريت شكلهم زى البنى آدمين بالضبط، بيججوا فى أى وقت، ومرة واحد طلع أيده من تحت السرير وقعد يمشى إيده على وشى وعلى دماغى، وساعات باشوف راجل دراعه طويل حوالى مترين وبعد 10 دقائق يختفى.

الناس كلها بتتكلم عليا، وبيضحكوا عليا، وببيصوا لى بصة غريبة ويقولوا لى من يوم ما طلعت الحج نفسك كبرت ومايقيتش تكلم حد.

وفى واحد فى الحارة عاوز يأذيني ودايما يشتمنى ورحت اشتكيت فى القسم، ولا سألوا.

وكنت بأحط السكينة تحت دماغى وأنا نايم عشان أخوف الشياطين بس هما سرقوا منى 3 سكاكين.

أنا مضايق، بعد ما كان عندى صحة وباشتغل عرجي، بقيت تعبان وماباشتغلش وماعيش فلوس، وعندي قلق فى النوم، الدنيا مالهش لازمة خلاص، أنا بأعنى أموت كل ثانية عشان أرتاح.

أما شكوى زوجته (69 سنة):

عبد الغفار تعبان من حوالى سنتين، بدأ يشتم ويتخانق مع الناس من غير سبب.

واحد جارنا عنده معزة، دخلت الحوش عندنا، فهو جرى وراها ومسكها وعض وذنّها وقطع لها حته منها والمعزة قعدت تصرخ وطلعت جرى من عندنا.

ولما رحنا عمرة من سنتين كان يقول إنه شايف العفاريت راكبة عجل، وماشية جنب الأتوبيس بتاعنا، وبقي يقول بأسمع أصوات كثير بتتكلّم زى البرابرة، مش فاهم منهم حاجة، ومن 5 أيام قال إنه شايف ارابن كثير في الأوضة مع إن ماكانش فيه حاجة.

كان بيحط سكينه تحت المخدة ويقوم بالليل يشوح بيها ويقول أنا عاوز أقتلهم، ولما يخرج يأخذ السكينه في جيبه علشان لما العفاريت تطلع له يموتهم.

بقي يشك في الناس إنهم عاوزين يأذوه ويسرقوه، دلوقتى بقى حزين وقاعد لوحده ومنعزل بس بيهتم بنفسه، بأكله وبنظافته.

بالنسبة لظروف المعيشة تقول الزوجة:

- عايشين أنا وهو في أوضة إيجار، بقالنا فيها 60 سنة، إيجارها 2 جنيه ونصف، الأرض فيها 3 أوض وحوش وحمم بلدى مشترك للثلاث سكان.

- عندنا سرير وكنبتين ودولاب وثلاجة وبوتجاز وتليفزيون صغير.

- عندنا معاش (تأمين عبد الناصر) 79 جنيه والـ 3 صبيان بيدونا 150 جنيه، يعني ساعات، دايمًا، يعني، ومش بيكفوا، وبنستلف.

يضيف عم عبد الغفار عن نشأته:

- أبويا مات وأنا صغير وأنا عندي 9 سنين، كان "عرجي زى" بس اللي أنا فاكره إنه كان طيب وله أصحاب كثير والناس كلها بيحبوه، ماكانش يعمل مشاكل مع حد.

كان بيحبني أوى علشان أنا أصغر اخواتى وكان بيعاملنا كويس، وعمرى ما شفته ضرب أمى، كان بيصلى ويصوم بانتظام.

- أنا باحب أمى قوى وزعلت عليها جدًا، لما ماتت من أربعين سنة، وهى كانت بتحبني أكثر من اخواتى هى كانت في حالها، تشخت اللي عندها، بس ما تاخذش حاجة من حد، كانت بتصلى وتصوم بانتظام.

وتقول الزوجة عن ذلك:

أم عبد الغفار كانت مدلّعاه قوى، علشان هو الأخرانى في اخواته، وكانت بتسلطه عليا علشان يضربني، ساعات كان بييجى يضربني وأنا نائمة بعد ما هى تقول له عليا حاجات ماحصلتش. أمه كانت وحشة مع قرابيتها وجيرانها، ومالهش أصحاب، هى كانت تشك في أى حد، ومتأمنشى لحد، وهوا كان آخر العنقود في اخواته السبعة.

تاريخ العمل:

بدأ عبد الغفار عمله "صبي عربي" مع أبيه، ثم عربي بعد سنوات قليلة، بعد موت أبيه وهو في التاسعة (كما ذكرنا)

وتقول الزوجة: كان بيشيل حديد وخشب، وبقي يشتغل مع شركة بيرة، يأخذ 15 - 20 صندوق ولما يبيعهم، يرجع الفلوس للشركة، ويأخذ نسبة على كل صندوق. (الشيلة بـ 5 - 10 صاغ) (صندوق البيرة بـ 4/1 جنيه)

تضيف الزوجة:

أنا وعبد الغفار كنا بنتخانق على طول، ما كنتش طابقاه، بيضربني على طول، حتى وانا حامل ويحلف أنه حايستطني وحايطلقني، وكمان ممكن يندهني بإسمى، ولو في وسط 100 راجل، واحنا عندنا ده ما يصحش.

ويفسر المريض ذلك وهو يقول:

أنا كنت باضرها علشان ما بتسمعش الكلام، وبتعاندي، أنا كنت بأجبتها وهي صغيرة بس لما كبرت بقت وحشة من السكر اللي جالها.

وعن شخصيته قبل المرض تقول زوجته:

"عبد الغفار طول عمره بيتخانق كثير في الشارع ويضرب الناس بأزازة، بمطوة، أو بيسن الحدوة بتاعت الحصان ويحطها في جيبه.

ولو حد حتى في القسم قال له إوعي، يضره على طول، على طول كان في الأقسام وميهموش وميندمش ابدأ، وعمره ما يقول خد معلش.

كان بيضربني على طول ويورمني ويزرقني، هو بخيل أوى ويحب نفسه أوى.

مايزعلش على حاجة، مازعلش غير على بنته اللي اتشلت من سنة.

(وصفت الطيبة بناء على ذلك أن شخصيته كانت: شخصية ضد المجتمع antisocial personality.

وعن المعلومات العامة أجاب:

رئيس الجمهورية <==== حسي مبارك

رئيس الوزراء <==== أحمد بيه حاجة

مغني <==== عبد الوهاب

مغنية <==== أم كلثوم

(انتهت المقتطفات من ورقة المشاهدة)

الجزء الثاني:

مقتطفات من المناقشة مع مقدمة الحالة:
قبل لقاء المريض.

د. يحيى: أنا متشكر على اختيارك ده، هو غريب شوية بالنسبة للحالات اللى بتقدموها لى هنا كل خميس، 84 سنة!!! أنا مابعالجشى للمسنين عموماً، ده مش اختصاصى الدقيق، مش عشان هما ما بيتعالجوش، أنا باحبهم وباحب العيال، يمكن عشان كده مابعالجشمش، زى ما اكون باعتبر الغلط مش فيهم، والعلاج فى إيد اللى حواليمش أساساً، لكن علاج ومتابعة واحد اتنين تلاته، لأ، مش تبعى، مش اختصاصى، أنا مركز على مرحلة منتصف العمر زى يونج، وساعات حوالين سن المراهقة، أنا باعرف أنفاهم مع العيال والعواجيز تمام التمام، وباعرف أعمل علاقة سريعة جداً معاهم هما الاتنين، العيال والعواجيز، لكن علاج ونظام وتأهيل، غري أحسن منى.

لكن قولى لى ياساندرا: إنت بتجى الراجل ده ليه؟

د. ساندرنا: باحبه ليه؟! عشان... عشان...

د. يحيى: أولاً أنا إيش عرفنى إنك بتحبينه؟ أنا لسه ما شفتهوش

د. ساندرنا: لأ هو أنا فعلاً أول ما شفته فى العيادة يعنى كنت عايزة أعالجه، يمكن عشان راجل كبير يعنى

د. يحيى: عشان راجل كبير بتحبينه بحق وحقيقى، دا كويس، بس برضه هو راجل وأنت ست يعنى، ولا ناسيه

د. ساندرنا: لأ مش ناسيه

د. يحيى: بتحبينه كبنى آدم، وبتحبينه وانى ست كواحد مصصح، بتحبينه كواحد قريب حاضر، مش كده ولا إيه؟ كل ده موجود مع بعضه، باين فى المشاهدة (Sheet)

د. ساندرنا: آه

د. يحيى: عشان كده أنا أشكرك مرة ثانية إنك بتقدمى حد، وانت عاملة علاقة كويسة معاه، لما أنت رسمى صورة له زى بورتريه يعنى جمعنى معلومات عن العائلة من أول أبوه واخواته، لغاية مش عارف أيه، لغاية كل عياله، والبنت اللى اتشلت، وبعدين رُوحتى بيتك، وانت قاعده لوحده بقى بعد ما سبتيه، قعدتى تتصورى العائلة دى عايشة ازاي؟ فى أوضه بالشكل ده؟ بمعاش 79 جنيه، وشوية مساعدات من العيال، يايذفعوا، يالآه؟

د. ساندرنا: تخيلتهم فقرا أوى يعنى

د. يحيى : قيدرُتي تتقمصي هذا المستوى من الفقر والصعوبة
اللى همّ عايشين فيها

د.ساندرا : أنا حسيت بصراحة إنهم من أفقر الناس اللى
شفتهم، أو حتى سمعت عنهم، ازاي همّ عايشين في الأوضة دى،

د. يحيى : طيب إنت ليه يا ترى ما حبتيش مراته؟

د.ساندرا : هى صعبت عليا برضه

د. يحيى : الله يخليكى، الصعبانية غير الحب، إنتى حبيبتى
الراجل، إنما مراته صعبت عليكى، هل، لاحظتى الفرق؟ هوّا صعب
لكن مهم، لما تكبرى حاتعرفى

د. ساندرأ: ربنا يسهل

د. يحيى : إنت لاحظتى معنى قيمة الفلوس اللى اتقالت
"الشيلة بجمسة أو عشره صاغ، وصندوق البيرة بربع جنية؟

د.ساندرا : أيوه لاحظت، وماقدرتش أتصور قوى

د. يحيى: لابد من التدقيق في كل كلمة

د.ساندرا: ازاي يعنى؟

د. يحيى : ساعات مقارنة الأسعار تحدد لك نقلة الحياة اللى
حصلت، وتسهل لك تقمص المريض.

د.ساندرا : آه

د. يحيى : انت لاحظتى لما مراته بتقولك "وكمان ممكن يندهنى
باسمى، ولو في وسط 100 راجل، واحنا عندنا ده ما يصحش!؟
تفتكرى لازم ينده لها إزاي في المجتمع ده في السن ده في الزمن
ده؟

د.ساندرا : هى بتقول لى إنه كان حقه يقول لها يا أم
محمد

د. يحيى : شفتى هيا بتعلمك الفرق إزاي! خلى بالك إحنا
بنتعلم من مرضانا كل حاجة بما في ذلك التاريخ والحياة اللى
احنا مانعرفهمش.

د.ساندرا : آه صحيح، بس أنا مافهمتش قوى الفرق بين
إنه يناديها باسمها أو بأم محمد.

د. يحيى : كان أيامها اسم المرأة حاف كده "عؤرة"، لازم
تذارى، العؤرة اليومين دول بقت والعياذ بالله حاجات تانية،
عشان كده الحالة بتاعتك دى تفيدك في التعرف على ثقافتنا
وعلى النقلات اللى حصلت واللى بتحصل فينا، في مجتمعنا، ودى
أمور مهمة، بتورينا يعنى طول وعمق طبيعة الجارى، العيان
ده كتاب كامل، ما استغربتيش وهوّا بالفقر ده "حج" ازاي؟

د.ساندرا : هُوَ راح عمرة ،

د.يحيى : العمرة غير الحج، معلش ما انت عندك حق، عشان مش عارفة تفاصيل دين غير دينك

د.ساندرا : هُوَا طلع عمرة بس

د.يحيى : لكن الأصوات بتقول له: "من يوم ما طلعت الحج نفسك كبرت وما بقيتش تكلم حد"

د.ساندرا : هما بيقولوا له كده بس

د.يحيى : هما مين؟ الناس؟ ولأ الأصوات؟

د.ساندرا : الأصوات

د.يحيى : يعنى هو عمل عمرة، والأصوات كتبت لها حج، شفتي الأصوات وفرت له قد إيه؟! إوعى تنسى إن الراجل الطيب ده عنده 84 سنة.

د. ساندرا: لأ فكرة كويس، ويمكن عشان كده باقدهم خضرتك

د.يحيى : إنت بتوصفى شخصيته إنها كانت "ضد المجتمع" مش عايزة تراجعى نفسك؟ ده لو ضد المجتمع ماكنتيش حبتيه كده، ما هو صعب إنك تستعملى ألفاظ موضة موجودة فى الكتب توصفى بيها فترة تاريخية ما تعرفيش عنها حاجة، طبعاً أنا عاذرك يا بنتى، إنت ماتعرفيش الدنيا كانت ماشية إزاي أيام لما كان صندوق البيرة بربع جنيه. لو استقبلت ربع جنيه وبيرة ومش عارف إيه بنفس الأرقام بتاع اليومين دول حتلاقيكى بعيده عن الراجل ده، العلاج أساسه التعرف على حقيقة أبعاد ووعى اللى قدامك، وإنت صغنطوة لسه، صعب عليكى تعملى علاقه مع راجل كبير زى ده، مع راجل بالفقر ده، إنت عارفه يعنى إيه حمام بلدى مشترك لثلاث عائلات فى ثلاث غرف فى حوش، ودا بيعمل إيه فى النفسية بتاعة أفراد ثلاث أسر، كل أسرة فى أوده، لو تجمعت أى حد من السكان دول مش ضرورى الراجل الطيب ده، مش ضرورى يكون عيان، حاتعرفى العلاقات شكلها إيه وبتتشكل ازاي، وبعدين مع راجل بالتاريخ ده صعب صعب إنك تلملمى كل التفاصيل مجمها، كل كلمة تسمعيها عايزة واحد يترجمها لك عشان تعرفى دلالتها الحقيقية، واحد زى ده تختبرى ذكاؤه بإنك تسألوه تقول له إيه وجه الشبه بين الموزة والبرتقالة؟ بقى ده اسمه كلام؟

د.ساندرا : ما هو ما فهمشى قصدى، وقعد يضحك

د.يحيى : والله كويس إنه ماضريكيش،

وأنا نايب سنة 58 كنا بنعمل اختبارات لبحث كان بيقوم بيه استاذى الدكتور عيد العزيز عسكر، كان بحث عن الثعلبية (سقوط موضعى لشعر الرأس أكثر، لأسباب نفسية غالباً)، وأنا باطبق اختبار ذكاء اسمه "بورتس ميز" (متاهة بورتس) على واحد صعيدى عنده ثعلبه، كان مفروض العيان يمسك قلم ويمشى

في متاهة زى بتاعة العيال اللي بتتنشر في "ميكي" أحياناً، وفيه فار في ناحية وحتة جينة في ناحية ثانية، وخطوط مقطعة، وكلام من ده، وكل سنّ وله متاهة أصعب في أصعب، والصعوبة بتزيد واحدة واحدة حسب السن، وأنا باقول للراجل الصعيدى الطيب ده: يالاً ورينا شطارتك، وارسم خطوط، إزاي الفار ده الناحية دي يوصل حتة الجينة دي الناحية الثانية، بص لى الرجل باستغراب زى ما أكون باهبل وقال لى: ما ينفعشى، فأنا قعدت اتحايل عليه، وهو آخر زرجنه، وإن راسه وألف سيف مستحيل الفار يوصل، قلت له يا عم فلان. إذا كان الاختيار معمول إنه ينفع، وإن الفار يقدر يوصل، قال لى "لا يمكن"، قلت له من غيظي "طب أوريك"، نسيت بقى البحث، ومسكت القلم وبدأت، لكنه قاطعنى وهو بيقول:

طبعاً "إنت تقدر"، قلت له: "إزاي مستحيل؟ وفي نفس الوقت أنا أقدر؟ قال لى" إمال أبوك علمك ليه؟ ما هو أبوك صرف عليك عشان تخلى الفار ده ياكل حتة الجينة دي ، بصراحة ضحكت وقررت ما اعملش الاختبار، وابتديت اكمل المعلومات اللازمة للبحث، وإذا به يقاطعنى ويقول: قال قل لى يا بيه، بقى هو الفار لما حياكل حتة الجينه دي شعري حايطلع؟ ولا كان بيهزر ولا حاجة خالص، يمكن كان بيستقل عقلى وبيوعيني، زى ما يكون كان بيقوللى كبر عقلك يا بيه وقول كلام ينفع خالتي.

إنت يا ساندرا لو ماكنتيش تاخدي بالك إنت بتكلمي مين، وإيه اللي ينفع وإيه اللي ما ينفعش، مش حاتتعرف على عيائنا كويس. لكن قول لى: إنت عارفه اسم رئيس الوزراء بتاعنا إيه؟

د. ساندرا: اسمه نظيف.

د. يحيى: وهو قال اسمه إيه؟

د. ساندرا: أظنه قال اسمه احمد بيه حاجة.

د. يحيى: مين الأشطر فيكم؟ يبقى نلم اللي انت قلتيه، على اللي هو قاله على بعض ويبقى اسمه أحمد نظيف.

الراجل ده لا بيقرأ ولا بيكتب، ولا له علاقات من اللي أحنا بنحكي عنها اليومين دول، يا ترى إيه اللي حافظ عليه مصصح كده، ومنتيه زى ما شفنا في إجاباته عليكي، إنت شطورة خالص إنك تقدمي لى حالة زى دي عشان نراجع الإشاعات اللي إحنا مطلعيناها على كبار السن، حالة زى دي تخلينا نعيد النظر، إحنا مجرد الواحد ما يكبر نقول ده بينسى، وتايه، وبيلخبط، كأنها قاعدة.

أنا أول ما يحش علي في العيادة حد في السن دي، أروح قايم وبايس إيديه وأنا لا أعرفه ولا حاجة، حتى لو كان أول كشف، لما ألاقها ست طيبة كده وكبيرة، أقول لها إدعى لى، قبل ما أقولها أسك إيه. ده أحسن ما أبدأ أهين العيان الكبير واسأله النهارده إيه في الأيام، وانت فطرت إيه الصبح، بالشكل ده أنا باحاول أكسر الحواجز من بدرى، وباقدر أحصل على معلومات تفيد للعلاج ،

